

رجل يسكن الآتي في وطن يتخبط في الماضي كتاب «عصام فارس واللجان الوزارية: من أجل دولة لوطن» صفحات مشرقة من العصامية والنزاهة والحرص على بناء المؤسسات!

٢٥٣ صفحة من القطع الوسط، بورق انيق واخراج مميّز، لوناً وحرافاً وملمساً. ويبدو ان د. مناف منصور يقف وراء جمع مادة الكتاب وانتخاب محطاتها وابتزازها ضمن سياق شيق من العناوين اللافتة والاضاءة المدروسة على ابرز الموضوعات التي يتضمنها الكتاب.

انه من الكتب النادرة التي يتلاقى فيها اضلاع المثلث الضرورية لتفوق اي كتاب: أهمية الموضوع، عمق المعالجة، واناقة الشكل التي تجذب وتحكي قبل فتح الصفحات. هذا ما تحقق بكل وضوح في كتاب: «عصام فارس واللجان الوزارية: من أجل دولة لوطن» الذي صدر عن «دار النهار» في بيروت في



غلاف كتاب
عصام فارس
واللجان
الوزارية...

«هو لم تصنع المناصب، بل أعاد اليها نبض المسؤولية، وأحيا في السلطة حس الرسالة. هو لم يأخذ شيئاً من درب أحد، ولم ينازع أحداً على صلاحيات أحد. هو لم يمنح أحداً من اداء مهماته».

وتعل هذه الناحية هي أبرز ما نفتقده اليوم في الحياة السياسية اللبنانية، حيث التنازع على الصلاحيات على أشده، والمهاترات تملأ الشاشات وأعمدة الصحف. عصام فارس جعل عمله الجاد معادلاً للصلاحيات. بمعنى انه لم ينتظر من أحد ان يعطيه مقراً لثيابة رئاسة مجلس الوزراء، او كي يحدث له بنود الصلاحيات التي يمكن ان يعمل من ضمنها. هو اكتفى بالعمل المميّز بحيث انه لا يمكن لأحد، وهو يشاهد انجازاته، ان يسأله عما اذا كانت النصوص الدستورية تسمح له بهذا القرار او لا تسمح.

على موافقه الوطنية، لا سيما في الظروف الحرجة والبالغة الدقة. يعرف جيداً ان الرجل التزم بعهدده وهو أعطى الوطن الكثير - ولا يزال - ولم يأخذ منه شيئاً باستثناء محبة الناس ووفاء الذين اختبروا فيه رجل دولة من قماشة مختلفة تماماً... وكأنه رجل يسكن الآتي في وطن يتخبط في غياهب الماضي!

جدية رجل الدولة

ويتبين من الكتاب ان هواجس العمل العام الذي أراد الرئيس عصام فارس ان يقوم به كانت ثلاثية، يفصلها الكتاب كما يلي:

- ١ - أن لا يفشل في أية مهمة تسند اليه، او يأخذها على عاتقه.
 - ٢ - أن يبرهن للجميع ان مكانته تحدد بمنجزاته.
 - ٣ - أن يثبت للجميع أنه بالامكان أن نبني دولة. وقد يكون الهاجس الثالث هو أكثر الجوانب التي عمل عليها الرئيس عصام فارس. فكان نادراً في رؤاه، متميّزاً في مشاريعه، متفرداً في استراتيجيته. ففي حين كان كثيرون يتقاتلون الدولة، ويتقاسمون خيراتها، كان هو يقف بجديته المعروفة وبرصانة رجل الدولة ليحرس المال العام.. وحين قيل عنه في مجلس الوزراء انه اكثر من «ديوان محاسبية» او انه «صوت الضمير في مجلس الوزراء»، كما وصفه الرئيس نجيب ميقاتي، لم يكن في الامر أية مبالغة. فالرجل دخل الحكم نظيفاً وابتعد عنه اكثر نظافة. ربما لأنه دخل السياسة من بوابة الاخلاق والعصامية والروح العلمية التي تعرف كيف تخطط للوصول الى هدف أعلى هو بناء دولة كاملة المواصفات تبقى للأجيال الآتية من المواطنين.
- فعصام فارس، كما جاء في الكتاب، دعم لبنان قبل المناصب في البرلمان وفي الوزارة، وبعد المناصب.



عصام فارس... رجل الاعمال

«أقفلت مكاتب أشغالي في لبنان كي أفصل تماماً بين موقعي السياسي وموقعي كرجل أعمال»

الانسحاب من العمل الوطني العام. يومها اطلق معادلته البسيطة ولكن العميقة الدلالات، حين قال: «عهدي ان أعطي الوطن. لا أن أخذ منه». ومن عرف عصام فارس في عمله السياسي وأطلع

الكتاب. تختصر بكل بلاغة، شعار الرجل في العمل العام، هو شعار أطلقه والتزم به ولا يزال حتى بعد ان اختار طوعاً الابتعاد مؤقتاً عن العمل السياسي المباشر من دون ان يعني ذلك ابداً

الوطن والدولة

والرئيس عصام فارس، كرجل دولة نزيه ومستقيم ومحبه لوطنه ولشعبه، بارز بكل ملامحه الاخلاقية والقيادية في الكتاب الذي طرح منذ العنوان المعادلة الذكية التي تختصر الاشكالية المزمنة لفكرة الوطن والدولة في لبنان منذ ما قبل الاستقلال حتى يومنا الحاضر. فتمة توازن بين قطبي الدولة والوطن في العنوان. والوطن، كما هو معروف، مفهوم عاطفي يرتبط بالذكريات وبالحماسة التراثية والثقافة الشعبية، وكلها تبقى، رغم أهميتها القصوى، جزئيات في هيكليّة الوطن الأزلي الذي لا يرتقي الى مثل هذه الديمومة الا اذا نجحنا في منحه دولة.

ومفهوم الدولة هو مفهوم حضاري علمي تنظيمي عميق. والوطن الذي لا يقوم على دولة حقيقية يبقى عرضة للاهتزاز والترنح. لذلك فان همّ عصام فارس وهدفه، من الأساس، هو بناء دولة حقيقية لكل اللبنانيين. وهذا ما عمل عليه بجهد واخلاص، منذ توليه المسؤوليات في لبنان، حيث اجتهد لأن تكون مشاريعه عمرانية اقتصادية قانونية ترسخ مفهوم الدولة والمواطنة، وتبذل الانطباع السائد عند معظم الناس - مع الاسف الشديد - بأن المسؤولين يستفيدون من الوطن اضعاف اضعاف ما يقدمون له.

وإذا بالرئيس عصام فارس يقلب هذه المعادلة. قلبها بالعمل الدؤوب والمتواصل وليس بالكلام والشعارات. قلبها بالصدق مع الناس وبمصارحتهم بالحقائق. وليس بالمسايرة لتمرير الوقت وتحقيق المكاسب. ولعل تلك العبارة التي أطلقها في التاسع من ايار/مايو ٢٠٠٤ والتي تتصدر الصفحة ١٩ من

الرئيس عصام فارس

اجل دعم لبنان. يكفي ايضاً ان نستعيد بعضاً من محطات المحاضرات السنوية التي يبرعها في جامعة «تافتس» الاميركية حول لبنان والشرق الاوسط، وقد تعاقب على منبرها أبرز القادة السياسيين في العالم ممن لدولهم دور فاعل في لبنان والمنطقة من امثال الرئيس بوش الأب، وبعده الرئيس كلينتون، والرئيس الفرنسي فاليري جيسكارديستان، ورئيسة الوزراء البريطانية الراحلة مارغريت تاتشر، وخلفها طوني بلير وعشرات

لماذا لم تعمل الدولة بالمبادئ التي اطلقها الرئيس عصام فارس؟

الفصل بين المواقع

الشخصيات العالمية القيادية. وفي خلال ممارسته الشأن العام والعمل السياسي الرسمي في لبنان قدم الرئيس عصام فارس، كما يستفاد من الكتاب، تجربة رائدة وأ نموذجاً حبذا

وعمله المخلص من اجل صورة الدولة في وطنه لم يقتصر على الداخل فحسب. يكفي ان نتذكر المؤتمرات الضخمة التي يطلتها في الخارج من

«لماذا هناك ابن ست وابن جارية؟ اذا كان الموضوع قانونياً فليأخذ مجراه. والا فليتوقف!»



رجل الدولة في منصب نائب رئيس الوزراء ونائب عن الأمة

كرجل اعمال.. ومن أبرز شعاراته التي أصبحت مدرسة تحتذى في العمل الوطني التنظيف واحد يقول: «اذا كان الموضوع قانونياً فليأخذ مجراه، واذا كان غير قانوني فليتوقف». وكذلك التساؤل البليغ الذي يحمل خلف صراحته القصوى، الف دلالة ودلالة: «لماذا هناك ابن ست وابن جارية؟».

ويتضمن الكتاب نقاشاً كثيرة يصعب التوقف عندها جميعاً، ولكن ما يمكن تأكيده هو ان أبرز ما يلفت انظارى الموضوعي ان الحلول التي طرحها الرئيس عصام فارس لمعالجة الازمات اللبنانية منذ عشر سنوات وأكثر، لا تزال هي خارطة الطريق الذهبية لانقاذ الوطن وبناء الدولة. فلو اخذوا برأيه يومها، أما كانوا جثياً لبنان واللبنانيين الكثير من الازمات ومن الدماء والدموع؟

خطة الاصلاح

وللتذكير نشير الى ما اعلنه في آذار/مارس من العام ٢٠٠٤ بشأن النقاط الاساسية للخروج من الترددي والتي يمكن ايجازها كما يلي:

- وضع خطة شاملة لتحقيق النمو الاقتصادي ولتقليص الدين العام طبقاً لجدول زمني مدروس.
- استعجال الاصلاح الاداري.
- وقف الهدر والفساد.
- اعادة درس موضوع الخصخصة باتجاه لا يجعلنا نتخلى عن بعض مرافقنا الحيوية بأبخس الاسعار.
- معالجة موضوع الكهرباء.
- استعجال الاصلاحات المالية والاقتصادية بتشجيع المستثمرين.
- جراحة الحكومة في اقرار الاجراءات الجذرية.
- جراحة مجلس النواب في محاسبة الحكومة ومساءلتها.
- جراحة القضاء في اداء دوره.
- من الملاحظ ان خطة الرئيس فارس هذه تشدد على اهمية الجراحة المطلوبة من السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية، كي يستقم عمل الدولة

وتتم مكافحة الهدر والفساد وتبديد الاموال العامة. ولا يمكن لرجل قيادي من وزن عصام فارس، ان يشترط هذه الجراحة الرائدة والدائمة الا اذا كان هو نفسه جريئاً في الحق وفي العمل المؤسساتي الذي يصب في خانة بناء الدولة الحقيقية والقادرة على تطوير نفسها لتحتضن ابناءها وتستوعبهم.

وقد اثبت الرئيس عصام فارس في عمله النيابي والوزاري، حيث ترأس عشرات اللجان بصفته نائباً لرئيس الحكومة في ثلاث حكومات متعاقبة، انه يعتمد البرمجة والتخطيط، وانه يؤمن اننا «بالقانون وبالعلم وبالتنمية نصون الوحدة الوطنية والسيادة والديمقراطية ونوطد الاستقرار والتعافي».

والسؤال البسيط هنا هو: لماذا لم تعمل الدولة بهذه المبادئ التي اطلقها عصام فارس وطبقها على نفسه قبل ان يطلب تطبيقها على الآخرين؟ طبعاً، الجواب معروف، وما حالة التخطيط التي تعيشها الدولة سوى عينة بسيطة عن نتيجة عدم السير في خطط الرئيس عصام فارس... وكان قدر الرجل ان يحمل رهان الدولة في زمن اللادولة، كما جاء في احد عناوين الكتاب، باختصار عصام فارس، كما يتهدى من الفصول جميعاً، رجل سبق عصره واراد ان يرفع وطنه الى مستوى مميز يليق بابنائه وبطموحاتهم وبتاريخهم الحضاري الطويل، غير ان الظروف عاكسته، وان كانت لم تنجح في الحد من ارادته. لذلك بقي شراعاً رائداً يبحر في كل مكان بحثاً عن كل ما من شأنه ان يبرز صورة وطنه وان يساعد شعبه ليبنى دولة تليق بهذا الوطن الذي يريد له عصام فارس ان يبقى زينة الاوطان! ■

